ارجاعية مع جمهورها . فهي تتوحد في ذاكرة جمهورها اللغوية والسياسية . من هنا تعددها الذي يفتقد الى القعر الثابت . فهي تتعدد باتجاه المعطى ولا تبحث عن معطيات خاصة ، هل هي صدى للواقع بالمعنى المباشر ؟ أم انها جزء من عملية تأليفية طويلة يلعب فيها ايقاع الواقع دورا خاصا ؟

ليس طرح هذا التساؤل خاطئا ، لكنه ليس طرحا متكاملا . فالعلاقة المباشرة بالجمهور الذي يشير الى البنية الارجاعية في القصيدة ليست علاقة هيولية او شاملة. فالشعب باسره ليس جمهور شعر يكتب بلغة فصيحة ، بينما الامية لا تزال غالبة في الاكثرية الشعبية الساحقة . اذ أن هذه الاكثرية ، بحسها الشعبي الخاص استطاعت ان تطور اشكالها التعبيرية « الشعبية » التي تشير الى العناصر الدفاعية في الحكمة الشعبية . بينما يبقى هذا الشعر ، الذي نعالج ، لصيقا بهموم شرائح متباينة من المثقفين ، الذين يحاولون الانخراط من منطق الطبقة الوسطى النامية داخل حركة الصراع الوطني . من هنا فالبنية الارجاعية التي تحكم القصيدة ، ليست بنية اطلاقية . انها جزء من حقل ادبي جرى تطويره وبلورته بشكل أساسي خارج فلسطين ــ لاسباب سياسية ــ ثقافية ، اهمها بقاء فلسطين داخل قبضة الهيمنة العثمانية في فترة بدايات محاولات النهضة . هذا الحقل الادبي ، هو الذي ينعكس هنا في بناء القصيدة ، ويعكس فيها واقعا نضاليا خاصا ومهمات نضالية لم تكن لتطرح بمثل هذه الحدة على شعراء المدرسة الرومانسية في مصر على سبيل المثال . فالطابع الارجاعي اذن هو حقل شامل يطبع الشعر العربي بأسره في هذه المرحلة ، رغم انه يحمل في داخله بذور التطور اللاحقة التي برزت في محاولات تجاوز شكل القصيدة واطاراتها في شعر السياب المبكر .

ان القصيدة كسطح من المشاعر والتداعيات الخارجية ، وهي سمتها الغالبة في هذه المرحلة ، تحمل في الواقع ، بعض خصائص التوتر المأساوي الذي سيطبع الحركة الشعرية المعاصرة . ويأخذ هذا التوتر في الشعر الفلسطيني هنا ثلاثة اشكال مترابطة :

١ ــ الاقتراب من الاغنية الشعبية . هذا الاقتراب الذي يصل الى صياغة لون اخر من الموشحات البسيطة التركيب ، الواضحة الايقاع والتي تستطيع ان تلعب دورا خاصا في الممارسة السياسية . ان التقطيع التوشيحي الذي نلحظه في بعض قصائد طوقان على سبيل المثال هو أحد اسس تلك البدايات التي حاولتها القصيدة العربية للخروج من جلدها القديم . ونحن لا نريد ان نغالي في الدور الذي لعبه طوقان في هذا المجال ، فهو لم يلعب دورا أساسيا او حاسما . لكنه في اناشيده اشر الى هذه الامكانية التي كان يجري تطويرها بشكل خلاق في مكان آخر ، ورسم اطارات أغنية سياسية ، تلعب دورها النضالي وهي تنطلق من الشعر : فالنشيد الذي كتبه لثورة الامير عبد الكريم الخطابي في مراكش ، اصبح مثلا للاناشيد اللاحقة التي صاغها شعراء آخرون .

٢ ــ الطرح السياسي ــ النضالي . فهم **الشعراء الفرسان** . كما يكتب جبرا ابراهيم جبرا(١). فالشاعر الفارس ، هو صيغة يجري استعارتها من التاريخ الادبي العربي القديم ، لانها تشير الى نوع من الطموح الذي نلمحه خاصة في شعر عبد الرحيم محمود . فهذا الشعر هو شعر المهمات المباشرة . لذلك هو شعر يطمح الى جماهيرية واسعة . الى ايصال صوته اقصى درجات الفعالية الجماهيرية الممكنة . هذه الفعالية ، هي معانقة للممارسة النضالية التي تصبح مقياسا شبه مطلق ضمن